

جيم فالون، شخص سيكوباتي (لديه اضطراب نفسي وسلوكي) لكنه لطيف، ولأنه عالم أعصاب، فقد اكتشف ذلك بطريقة غير عادية إلى حد ما.

كان فالون، وهو أستاذ في الطب النفسي والسلوك الإنساني في جامعة كاليفورنيا - إيرفين، يقوم بتجربة مسح فيها (تصوير طبقي) لأدمغة القتلة واستخدام عائلته كمجموعة مراقبة.

ما الذي يجعل الشخص «سيكوباتياً»؟

والدها وزوجته بفأس في عام ١٨٨٢. وأصبحت تبرئتها من تلك الجريمة البشعة محل جدل واسعاً منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا.

ويقول فالون إنه يستطيع رؤية كيفية عرض سلوكيات المضطربين نفسياً بطرق معينة. ويقول مازحاً، إنه على سبيل المثال، قد يصرف النظر عن حضور جنازة أحد الأقارب إذا علم بوجود حفلة ما أو شيء ممتع في نفس اليوم، رغم أنه يدرك أن ذلك «غير صحيح».

ويقول: «المسألة هي أنني أعرف أن هناك خطأ ما، لكن رغم ذلك لا أعيره اهتماماً... لا أعرف كيف أشرح هذا، إنه كأن تكون في وضع تعلم أنه غير صحيح ومع ذلك، لا تبالي».

● إذاً، طالما لدى فالون دماغ وجينات قاتل، فلماذا لم يصبح قاتلاً؟

● الجواب هو ما إذا كانت الجينات يتم إثارها أم أنها لا تعتمد على ما يحدث في طفولتك. يقول فالون: «إذا كان لديك ما يسمى بالشكل الأكثر خطورة

بمشاعر الخوف. وإذا شوهدت هذه الاختلافات في سن مبكرة، فقد يشير ذلك إلى وجود أساس وراثي لاضطراب السلوك النفسي.

ولكن، إذا اعتبرنا الدماغ عضلة، قد يفشل المضطربون نفسياً في تمرين تلك المناطق، مما يؤدي إلى انخفاض مستوى النشاط، ربما كنتيجة للتربية والبيئة التي عاش فيها. خذ عائلة فالون كمثال على ذلك.

بعد إجراء فحص الدماغ المحيّر عام ٢٠٠٥، بدت تلك الصور تميل لصالح فالون. لقد أدرك أن السمات النفسية المضطربة لم تبدأ من عنده. في الواقع، كان هناك سبعة قتلة في شجرة عائلته.

تذكر فالون كتاباً قدمته والدته له قبل سنوات عديدة عن جده الأكبر، الذي عاش في سبعينيات القرن الماضي، وكانت أول حالة لرجل قتل والدته في المستعمرات الأمريكية.

وكانت قد أتهمت ابنة عم فالون، ليزي بوردن، بقتل

حالتها». وتشير التقديرات إلى أن نسبة المضطربين نفسياً (السيكوباتيين) في المجتمع لا تتجاوز واحداً في المئة. ورغم أن كثيراً من المجرمين العنيفين يندرجون ضمن هذه الفئة، كما تظهر حالة فالون، فهذا لا يعني أن جميع المضطربين نفسياً عنيفون بالضرورة. ● إذاً، السؤال هو ما إذا كان المضطربون النفسيون يولدون بهذه الطريقة، أم هذا نتاج تربية؟

● لقد كشفت صور الأشعة لفحوصات الدماغ، اختلافات في نشاط بعض أجزاء الدماغ لدى السيكوباتي العنيف وغير السيكوباتي.

فكانت لدى المجموعة الأولى مادة رمادية أقل في المناطق الأمامية للدماغ، وهي المادة المهمة لفهم مشاعر الآخرين. وتشهد هذه المناطق أيضاً عندما نفكر بشكل أخلاقي.

كما أنه يوجد في دماغ المضطربين نفسياً منطقة أصغر من حجم اللوزة، ترتبط عادة

وعندما وصل إلى تحليل الصورة الأخيرة، رأى فحصاً وصفه بأنه «مُرّضي بكل تأكيد».

وقال لبي بي سي إنه نظر إلى التقنيين الذين أحضروا له صور الأشعة، وهو يظن أنهم يمزحون معه: «حسناً فهمت. لقد خلطتم ملف أحد القتلة مع عائلتي».

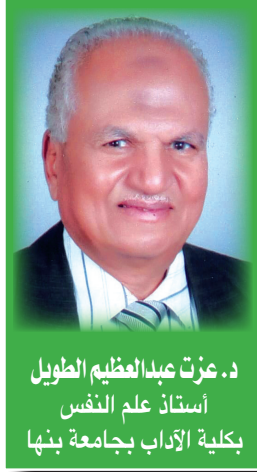
ويتابع: «لذلك قلت، حسناً، لا ينبغي لهذا الشخص أياً كان، أن يتجول بشكل طليق بين المجتمع، فقد يكون خطيراً جداً».

ويضيف: «لقد كان أسوأ نمط للاضطراب النفسي الذي رأيته على الإطلاق».

ويشرح موضحاً النتيجة: «لذلك سحبت العلامة التي كانت تغطي الاسم، فتبين أن صاحب هذا الملف هو أنا».

لكن فالون لم يقتل أحداً في حياته، ويصف نفسه بأنه «رجل لطيف». فكيف يمكن أن يندرج اسمه في لائحة المضطربين نفسياً؟

ويقول: «أنا سيكوباتي إيجابي، ليس لدي أي من الصفات الجنائية المعادية للمجتمع كالتالي لدى الآخرين ممن لديهم



د. عزت عبدالعظيم الطويل
أستاذ علم النفس
بكلية الآداب بجامعة بنها

أجراس السعادة

**السعادة اسم جميل تمناه الناس جميعاً على
اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم وتباين آرائهم
ومشاربهم**

منذ قديم الزمان، وردّد الناس هذا الاسم في شبابهم وشيوخوتهم، ويرى بعض الناس أن السعادة في جمع المال الوفير، ويراه بعضهم في الزوجة الصالحة، والأسرة المتوافقة المتماسكة، بينما يراه البعض الآخر في الوهج العلمي والمعرفي الغزير، وثمة آخرون ينشدون السعادة في مساعدة الفقراء والمحتاجين والسعي الشديد في حب الناس وقضاء مصالحهم وحوادثهم وصولاً إلى رضا الله سبحانه وتعالى.

وقالوا في السعادة أقوالاً عديدة، فقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه «الدهر يومان يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فلا تضجر»، وقال عنها الفيلسوف الروسي تولستوي «السعادة أن يكون لديك ثلاثة أشياء: شيء تعمله، وشيء تحبه، وشيء تمناه»، وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فليسمعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»... والمثل الشعبي يقول «من جاور السعيد يسعد»، لأن السعادة كالوباء ينتشر بسرعة لكل من يتعرض له. ويقول الفيلسوف الهندي «غاندي» عن السعادة أنها: «تتوقف على ما تستطيع إعطائه، لا على ما تستطيع الحصول عليه».

وهناك الكثير ممن يرون أن السعادة في «الحب» الحقيقي الصافي الخالي من الرياء والنفاق، وخير مثال على ذلك «حب قيس وليلى» المحب الولهان حين ينادي قائلاً:

كسا النداء اسمها حسناً وحببته * حتى كأن اسمها البشري أو العيد

والإنسان الفرد الذي يقوم الليل في صلاة وتهجد وسجود ودعاء وقراءة القرآن ابتغاء مرضاة الله وحده جل في علاه يعتقد جازماً أن الله وحده سوف يقبل عمله، وهذا في نظره لبّ السعادة، وبالمثل حالة الشاب اليافع الذي تبادلته محبوبته حباً بحب، يحسبها قمة السعادة. وهكذا كل يغتني على ليلاه. وفي عالم الجريمة، يتوقع المتهم البريء براءته، فإذا حكم له القاضي بالبراءة كانت سعادته لا يدانيها أي سعادة. كما أن الأم الحنون تكاد تطير فرحاً ومرحاً وسروراً عند زواج ابنها الوحيد، حيث تصل سعادتها الغامرة إلى حد دموع الفرح، أو إن شئت فقل دموع السعادة والهناء.

وحمادى القول إن أجراس السعادة ذات صوت الصمت المدوّ الذي نسمعه فجأة، إنها استراحة جميلة في طريق الشقاء الطويل، يكتنفها تجسيد خيال الماضي لتحوّله إلى واقع جميل ملموس معاش في الحاضر.



من الجبن وتعرضت للإساءة في سن مبكرة من حياتك، فإن فرص انغماسك في الجريمة خلال حياتك تكون أعلى بكثير».

ويقول: «إذا كان لديك الجبن ولكنك لم تتعرض للإيذاء، فلن يكون هناك أي خطر كبير، فالجبن يحد ذاته، المختلف، لا يؤثر بشكل كبير في السلوك، ولكن في ظل ظروف بيئية معينة، سيكون هناك فرق كبير».

يقول فالون إن لديه «طفولة رائعة وإنه كبح جناته غير المرغوب بها».

ويتابع: «عندما أعود بذاكرتي إلى الوراء والقي نظرة على صور الأسرة القديمة، أبتسم وأبتهج، وقد كان الأمر هكذا طوال حياتي.

هناك فرصة جيدة لتعويض كل هذه العوامل الوراثية وجرفها بعيداً.

السيكوباتي المضيد

رغم أن علم الأحياء يعني الكثير، إلا أنه لا يحيط بكل شيء، عندما يتعلق الأمر بتحديد ما إذا كان شخص ما سيعيش حياة حافلة بالجزائم أم لا.

أما بالنسبة لفالون، فهناك حالة إيجابية تتمثل بقدرته في رؤية الأشياء ببرودة أعصاب وعدم الانخراط بشكل عاطفي مع تلك الأحداث بحسب وصفه.

ولسبب ما، كان فالون دائماً صلة وصل بين الأصدقاء والأقارب الذين يحتاجون مشورته.

ويقول: «كان بوسعي الجلوس معهم لساعتين وعدم إبداء أي تعاطف معهم وهم يعانون، لكني كنت سأفهمهم وأحاول مساعدتهم ومنحهم هذا النوع من البرودة في تحليل الوضع، لكنه سيكون دقيقاً وجاداً».

«لقد حصلت على درجة عالية جداً فيما يطلقون عليه التعاطف المعرفي، أي أن تتفهم ما يمر به الشخص وتتعاطف معه، ولكن دون أن تتخيل نفسك مكانه أو تتألم لألمه». ودرجات منخفضة جداً في التعاطف العاطفي أي (الشعور بالآخر بأن تتخيل نفسك مكانه؛ تتألم لألمهم وتفرح لفرحهم)».

ويتابع البروفيسور قائلاً «اتضح أن الناس مثلي، يبذلون المزيد من الجهود ويقدمون المزيد من الأموال من أجل المجتمع، ويشاركون أكثر في فعل الأشياء، لكنهم مخيبون للأمل عندما يتطلب الأمر منهم الإحساس بهم أو المعاناة معهم».